مدلول الشّخصية السّيرذاتية وتصنيفاتها في "عبر الزّهور والأشواك مسار امرأة ." لـ: زهور ونيسي

Personal significance Biographies and classifications in - Through flowers and thorns- Woman's paths by: Z'hour Ounissi

فهيمة كودري *

أد. حسناء سعادة ♣

تاريخ الإرسال: 2023/06/25	تاريخ القبول:2025/05/28	تاريخ النشر: 2026/06/10

الملخص:

يندرج هذا البحث في إطار الدراسات السميائية السردية وهو يهدف إلى رصد سيميائية الشخصية في "عبر الزهور والأشواك . مسار امرأة . للأديبة "زهور ونيسي"، من خلال دراسة مدلول الشخصية وتصنيفها بالرجوع إلى ما توصّل إليه "فيليب هامون" في منجزه النقدي، وقد اشتمل البحث على تعريف للسيرة الذاتية، وكذا تعريف الشّخصية عند النقاد الغربيين مع التركيز على رؤية فليبب هامون للشّخصية، لنطبّق ما خلص إليه هذا الأخير . حول مدلول الشخصية. على السيرة الذاتية لـ: زهور ونيسي "عبر الزهور والأشواك" مبرزين العنصرين التاليين: المعيار الكمي من خلال جداول رصدنا فيها تواتر الشخصيات و المعيار الكيفي بذكر أهم أوصاف الشخصية ومواصفاتها وظائفها، لننتقل

* المدرسة العليا للأساتذة -بوزريعة- الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري (الجزائر)، fahima.koudri@ensb.dz.

♣ المدرسة العليا للأساتذة -بوزريعة- الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري (الجزائر)، saada.hasna@ensb.dz.

بعد ذلك لتصنيف الشخصيات بالتعريج على الشخصيات المرجعية الإشارية والاستذكارية، ولنختم البحث بخلاصة ما توصلنا إليه من نتائج وإحصاءات.

الكلمات المفتاحية: السيرة الذاتية. مدلول الشخصية. الشخصيات المرجعية. الشخصيات الإشارية، الشخصيات الاستذكارية.

Abstract:

This study, within the framework of narrative semiotics research, examines the signified characters of Zuhur Wannisi's Through Flowers and Thorns: The Woman's Path, and classifies them accordingly. It is intended to monitor the semiotics of characters . ' Philippe Hamon gave a key performance. This study included not only autobiographical definitions, but also Western critics' definitions of the character, with an emphasis on the character of Philippe Hamon. We apply the latter conclusion about the importance of character to Zuhur Wannisi's autobiography. Through Flowers and Thorns, highlighting two of his elements: quantitative criteria by using a table to find the frequency of characters being monitored. and qualitative criteria by mentioning the character's most important descriptions, attributes, and features. We then classify the characters based on main, supporting, reference, cued and memorized characters and finish the study with a summary of the achieved results and statistics.

***Key words**: Autobiography - Character significance - Referential characters - Symbolic characters - Memorable characters.*

*** *** ***

المؤلف المرسل: فهيمة كوردي، fahima.koudri@ensb.dz

1. مقدمة:

تشغل الشخصية حيزا مهما في الأعمال السير ذاتية لكونها لبنة أساسية في بنائها وقيام دعائمها، لذلك اهتم النقاد والباحثون بها دراسة وتطبيقا، وقد تعدت الشخصية في السير الذاتية طابعها الواقعي إلى طابع متخيل أكثر حضورا وتفاعلا باعتبارها "كائنا ورقيا"

يفرض خصوصيته الأدبية، وظاهرة تستدعي البحث والتنقيب، ونظرا لهذه الخصوصية ارتأينا في بحثنا هذا تتبع مدلول الشخصية من خلال معيارين: المعيار الكمي القائم على رصد المعلومات المتواترة المقدمة حول الشخصية والمعيار الكيفي الذي يعتمد على مصادر المعلومات المقدمة عنها و هما المعياران اللذان أقرّهما فيليب هامون في منجزه النقدي، ويهدف هذا البحث إلى رصد مدلول الشخصية السيميائية وتصنيفاتها والكشف عن تباين الشخصيات من حيث التواتر وطرق التقديم وقد اخترنا السيرة الذاتية لزهور ونيسي: عبر الزهور والأشواك. مسار امرأة. أنموذجا للدراسة وذلك للإجابة عن الإشكالية التالية :

كيف تجلى مدلول الشخصية في "عبر الزهور والأشواك"؟ وما الوظيفة المنوطة به؟

ثم ماذا عن تصنيف الشخصيات في السيرة الذاتية لـ زهور ونيسي؟ وما الصنف الغالب فيها؟ ولماذا؟

وسنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة متتبعين ما خلص إليه المنهج السيميائي والذي يعد أحد أبرز المناهج النقدية المعاصرة التي اعتمدها النقاد والباحثون في مقاربة النصوص السردية عموما والسير ذاتية خصوصا، مركزين اهتمامنا على رؤية فيليب هامون النقدية الرامية إلى تتبع الشخصيات السردية من خلال مدلولها وتصنيفاتها.

2. في مفهوم السيرة الذاتية

عرف تحديد مصطلح السيرة الذاتية جدلا بين النقاد والباحثين، بسبب حداثته وعدم اكتمال عناصره وتطوره المستمر، حيث نجد أنّ النقاد لم يتوصلوا بعد لتعريف جامع مانع له، ومع ذلك «يتفق الدارسون على أنّ مصطلح السيرة الذاتية، (L'autobiographie)، ظهر سنه 1866 حسب معجم لاروس للغة الفرنسية وهو يعني حياة فرد ما مكتوبة من طرفه»[1].

حاول مجموعة من النقاد والباحثين تعريف السيرة الذاتية كل حسب الزاوية التي نظر منها إلى هذا الجنس الأدبي، حيث عرّف محمد عبد الغني حسن السيرة الذاتية بأنّها

«أن يكتب المرء بنفسه تاريخ نفسه، فيسجّل حوادثه وأخباره ويسرد أعماله وأثاره ويذكر أيام طفولته وشبابه وكهولته وما جرى له فيها من أحداث تعظم وتضؤل تبعا لأهميته»[2].

اقتصر محمد عبد الغني حسن في تعريفه للسيرة الذاتية على ذكر مؤلفها وأهم أحداثها، فيما أغفل نوع كتابتها ونمطها، وبذلك لم يوفّق لتعريف جامع مانع لها، ولعل أقرب تعريف امتاز بالشموليه والدقة تعريف فيليب لوجون(Philipp legeune) الذي جاء فيه أنها «حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة»[3].

ميّز لوجون بين السير الذاتية وغيرها من الأجناس الأدبية، من خلال عناصر محددة رأى أنها متكررة في الملفوظات السردية، التي تنضوي تحت هذا الجنس وهذه العناصر هي: الكتابة النثرية، النمط السردي الاستعادي، الشخوص الواقعية، الخصوصية.

3. الشخصية عند فيليب هامون

تعدّ السيرة الذاتية من أكثر الفنون الأدبية اهتماما بالشخصية، كونها تشكل إحدى إبرز دعائمها، ولذلك اهتمّ النقاد بدراستها بداية بتعريفها، حيث تعدّدت تعريفاتهم لها وتنوّعت، فمنهم من قلّل من أهميتها واعتبرها «لا تعدو كونها عنصرا من مكونات السّرد في العمل الروائي»[4]، ومنهم من عاملها «على أنها كائن حي له وجود فيزيقي»[5]، في حين عدها رولان بارت (Roland barthes) « كائنا ورقيا»[6].

ميّز عبد المالك مرتاض بين الشخص والشخصية، ليضع بذلك حدا فاصلا بينهما، حيث نظر إلى الشخصية على أنها «كائن حركي حي ينهض في العمل السردي بوظيفة الشخص دون أن يكونه، وحينئذ تجمع الشخصية جمعا قياسيا على الشخصيات لا على الشخوص الذي هو جمع الشخص»[7]، وبذلك جعل الشخص واقعي له وجود جسماني، بينما الشخصية مكوّن من مكوّنات السرد لا تعدو أن تكون مجرد كائن ورقي.

أحدث فلاديمير بروب (Vladimir propp) قطيعة مع النقد التقليدي، وأسس تصوّرا جديدا لدراسة العمل الأدبي السردي، وأولى اهتماما كبيرا بالشخصية، إلا أنه اهتمّ

بالشكل على حساب المضمون، «فهو يعتبر الوظيفة عنصرا أساسيا في السرد»[8]، وبذلك حدّد الشخصيات من خلال وظائفها.

شاع المنجز النقدي لبروب في أوساط النقاد والباحثين الغربيين، فاهتموا به وعملوا على تطويره وتطبيقه على الملفوضات السردية ومن أبرزهم غريماس (Greimas) الذي استلهم نموذجه العاملي من محاولات بروب وسوريو (Saurion) وفيليب هامون (Phillipehamon) الذي أثرى الحقل السيميائي بدراسته للشخصية دراسة مخالفة لما كانت عليه في المقاربات التقليدية، حيث أن أهم ما يميّز رؤية فيليب هامون عن غيره، أنه استفاد من أراء غيره «واعتبر مفهوم الشخصية مرتبطا أساسا بالوظيفة النحوية التي تقوم بها داخل النص»[9].

ينظر فيليب هامون إلى الشخصية على أنها مورفيم فارغ في بداية الملفوظ السردي، لا يحمل أي معنى وكلّما تقدّم القارئ في فعل القراءة، كلّما امتلأ هذا المورفيم بالمعنى ولا يتمّ معناه إلا بتمام النّص، ويمكن تحديد مفهوم الشخصية عند فيليب هامون «بأنّها مورفيم فارغ أي بياض دلالي لا تحيل إلى بناء تقوم بإنجازه الذات المستهلكة للنّص من القراءة، ويظهر هذا المورفيم من خلال دال لا متواصل ويحيل على مدلول لا متواصل»[10].

ربط هامون مفهوم الشخصية بالقارئ الذي يعيد بناء النّص أثناء فعل القراءة، ومن ثمة يقوم بالموازاة بملئ ذلك المورفيم الفارغ (الشخصية) تدريجيا، لتكتمل صورتها النهائية باكتمال إعادة بناء النّص، وهذا البناء لا يتحقّق إلا في السياق الذي يمنح الشخصية معناها، وذلك يعني أن الشخصية هي نتاج لتجميع مقاطع الملفوض السردي.

اعتبر هامون الشخصية «دالا فهي تتخذ عدة أسماء وصفات تلخّص هويتها، وتحدّث عن الشخصية كمدلول باعتبارها مجموعة ما يُقال عنها في النّص أو بواسطة تصريحاتها وأقوالها وسلوكها»[11]، وبذلك أعطى هامون للشخصية صفة العلامة اللسانية، التي تحدّث عنها اللساني (Ferdinand de Saussure) ديسوسير فالشخصية دليل(Signe) له وجهان، دال (Signifiant) ومدلول (Signifie)، فهي لا تختلف في ذلك عن العلامة اللسانية مع أنها أكثر تعقيدا وتركيبا.

4. مدلول الشخصية:

يتوقّف تحديد مدلول الشخصية على مجموعة من السّمات الدلالية المتقطعة والمتناثرة في العمل السردي، ويمكن أن يتمظهر هذا المدلول من خلال جمل تتلفظ بها الشخصية، نستشّف منها صفاتها الخُلقية وطباعها فتنعكس لنا صورتها المعنوية، أو عن طريق ما يتلفّظ به الراوي عنها، أو ما تتلفّظ به غيرها من الشخصيات الأخرى، سواءً أكانت مساعدة أو معارضة، فمن خلال كل هذه الملفوظات يتجلى مدلول الشخصية.

بيّن هامون مفهوم مدلول الشخصية انطلاقا من وظائفها وعلاقتها بغيرها، فوضع لذلك ترسيمة خاصة بوظائف الشخصية وهي مكوّنة من ستة محاور: الحصول على مساعدة، توكيل، قبول التعاقد، الحصول على معلومات، الحصول على متاع، مواجهة ناجحة[12].

اهتمّ هامون بالشخصية واعتمد في تصنيفه لها على معيارين «معيار الكم ويمثّل درجة تواتر المعلومات حول الشخصية، ومعيار الكيف من خلال فعل الشخصية ذاتها وكيفية تقديمها»[13].

اعتمد هامون على معيارين يتمّ من خلالهما رصد أهمية الشخصية، وعلى حسب أهميتها يتمّ تصنيفها فمعيار الكم يدلّ على مدى اعتماد الكاتب على شخصية ما، وبعدد ورودها يتّضح صنفها فكلّما تكرّر ورودها في متن العمل السردي، كلّما دلّ ذلك على أهميتها فيه ومكانتها داخله، أما إذا كان ورودها قليلا فهذا يدلّ على ثانوية دورها في العمل، إلاّأنه لم يهتم بالكم فقط بل جعل معيار الكيف الفيصل في تصنيف الشخصيات ،فكل شخصية تسعى لتقديم نفسها وفرض مكانتها، ومن ثمة تلعب طريقة تقديم الشخصيات لنفسها من خلال أفعالها وسلوكياتها دورا فاصلا في تصنيفها.

1.4 المعيار الكمي:

يتمّ في هذا المعيار رصد المعلومات المتواترة المقدمة مباشرة حول شخصية ما، وبتتبعنا للعمل السير ذاتي لزهور ونيسي"عبر الزهور والأشواك" وإحصاءنا لعدد مرات تواتر الشخصيات خلصنا إلى النتائج المبيّنة في الجدول الموالي:

الجدول 1: تواتر الشخصيات في "عبر الزهور والأشواك"

الشخصية	مرات تواترها			الصفحات
	من مرة إلى خمس مرات	من خمس مرات إلى 10 مرات	أكثر من 10 مرات	
زهور ونيسي.			+	-51-50-48-34-38-33-32-23-21-20 76-53....
أبوها علي ونيسي.			+	-82-80-60-54-74-72-69-63-62-61 116-144-87..
طليقها الطاهر فضلاء.		+		227-226-146-145-144
زوجها أحمد جابر.			+	-309-308-306-269-232-231-230 437-354-349-348...
ابنها هشام.		+		-256-228-227-226-47-143-145 392...
فاطمة زكال.	+			237-235-233-202....
صفية بن مهيدي.			+	-271-246-244-239-238-208-202 425-229-280...
ابراهيم مزهودي.			+	-229-227-219-209-148- 139 -133 330
هواري بومدين.			+	-265-261-255-242-203-186-103 277-271-270-269-267

من خلال الجدول 1، تشير نتائج الإحصاء إلى تعدد الشخصيات التي ذُكِرت في العمل أكثر من 10 مرات، علما أنّ الشخصيات المدرجة في الجدول أعلاه تمثّل نماذج فقط، فمن ضمن أكثر الشخصيات تواترا في العمل شخصية "زهور ونيسي" التي ذُكِرت عبر مختلف مقاطع وفصول الملفوظ السردي، حيث فاق ذكرها 750 مرة مستخدمة في ذلك ضمير المتكلّم (أنا) في حين ذُكِر كل من أبيها (علي ونيسي) وزوجها (أحمد جابر)

وصديقتها (صفية بن مهيدي) والمفتش المجاهد (إبراهيم مزهودي) والرئيس (هواري بومدين) أكثر من عشر مرات.

يرجع ذلك لأهمية هذه الشخصيات في العمل، ودورها في حياة الساردة، وفي المقابل نجد كل من طليقها (الطاهر الفضلاء) وابنها (هشام) ذُكِرا ما بين خمس إلى عشر مرات، وهذا يدلّ على قلة أهميتهما بالمقارنة مع الشخصيات السابقة، في حين لم تذكر (صديقتها فاطمة زكال) إلا أربع مرات (أقل من خمس مرات) وذلك لأنها شخصية مساعدة في بناء الأحداث وليست صانعة لها.

2.4 المعيار الكيفي:

قد لا يكفي الاعتماد على المقياس الكمي للوصول إلى كل ما نحتاجه لفهم تكوين شخصيات الأعمال السردية عموما، والسير ذاتية خصوصا لذلك يعمد الباحثون إلى تتبّع مصادر المعلومات المقدّمة حول الشخصية ليميّزوا إن كانت مقدّمة من الشخصية نفسها (مباشرة)، أو مستنبطة من سلوكاتها وأفعالها (غير مباشرة) أو مقدّمة من قبل السارد.

يلجأ السارد في تقديم شخصيات عمله، إلى تقنية الوصف لكونها تمثل شكلا تعبيريا قادرا على مده بمجالات دلالية قصد التعبير عن أفكاره وآرائه وإيديولوجيته، والجدول الموالي يرصد أهم الأوصاف التي خصّت بها الساردة شخصيات عملها "عبر الزهور والأشواك".

الجدول 2: أوصاف الشخصيات في"عبر الزهور والأشواك."

الواصف	الموصوف	مضمون الوصف	الصفحة
زهور الساردة	زهية أختها	«أختي التي تصغرني كانت جميلة جدا شعرها سبائك ذهبية وعيناها عسليتان وأحلامها سيل من العسل... »	صفحة 25
زهور	والدها علي ونيسي	«...عيناه الزرقاوان ووجهه الوسيم وشعره الذهبي، كانت سنحة فيها نبل وعراقة لا يعكرها أي خوف أو توجّس، كان يبدو لي دائما راضيا قانعا وسعيدا، إنني وأنا أتذكره الآن والسيجارة دائما في أصبعه ينفث دخانها وفنجان قهوة يرتجفها بتؤدة، أعتقد أنه أحد لوردات الإنجليز النبلاء»	صفحة 63
زهور	نفسها	«...وفي نهاية اليوم أكون راضية رغم كل ذلك التوتر وأنا أضع جسمي النحيل على الفراش، فلا يتخلل نومي أي كابوس... »	صفحة 294

زهور	صديقتها (عائشة) ونفسها (زهور)	"...كانت عائشة شابة طويلة عريضة، أبدو بجانبها كعصفورة بجانب نعامة لكنها كانت حساسة رقيقة تعيش على العاطفة وحديث العواطف والقلوب كان ذلك غذائها الأساسي ... »	صفحة 151
شامة بوفجي	زهور صديقتها	«...كنت أنا والصديقة شامة التي كان يحلو لها أن تناديني (الكاملة في النساء) إشارة إلى قصر قامتي وكمال عقلي هكذا فسّرت لي ذلك مرة عندما سألتها....»	صفحة 400
زهور	المفتش إبراهيم مزهودي	«...وعندما دخل رجل ذو الملامح الصخرية الفصل دون أن يدقّ الباب نظرت إليه باندهاش وفضول». «... سلّم الرجل بجدية تصورتها مفرطة، لوت الصغيرات أعناقهن نحوه أمرتهن بالاستمرار في الرسم أومأ لهن الرجل بالاستمرار أيضا إماءة فيها أمر لم أتحرك من وقفتي، تقدّم الرجل ثم قال وقد زادت تقطيبة حاجبيه من جديته... »	صفحة 134-133
زهور	الأستاذ أحمد حماني	«...جاءنا أستاذ جميل الوجه أبيض البشرة أزرق العينين بربري السّمات عربي العقل واللسان، إسلامي القلب و اليقين، يغطي شعره الأصفر طربوش أحمر، كثيرا ما كانت تتساقط منه زهرات الياسمين البيضاء الشفافة.... »	صفحة 105
زهور	الرئيس هواري بومدين	«...رجل طويل نحيف عظام وجهه بارزة، وكأنه لا يأكل مثل الناس، يتكلّم بنظرات حادة تكاد تكون عابسة، وشعره الأحمر الأملس يكاد يأكل رأسه، واصفرار أسنانه يفضح إدمانه على التدخين، يرتدي قميصا دون ربطه عنق، وملابسه بعيده كل البعد عن الأناقة... »	صفحة 265

المصدر: نصيرة زوزو، سيمياء الشخصية في رواية حارسة الظلال لوالسيني الأعرج، مجلة العلوم الانسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد9، مارس2006.

من خلال الجدول2، سيطرت زهور ونيسي (الساردة) على وصف شخصيات عملها، فلا نكاد نجد شخصية أخرى تصف الساردة أو تصف غيرها من الشخصيات، ما عدا وصف واحد لشامة بوفجي (صديقة الزهور) التي خصّت به الزهور بقولها (الكاملة في النساء)، ويعدّ هذا الوصف واحدا من بين ثلاثة أوصاف ذكرتها الساردة عن نفسها، فبالإضافة إلى وصف شامة بوفجي، نجد وصفا ضمنيا عند حديث الساردة عن صديقتها (عائشة)، ففي خضم وصفها لعائشة شبّهت نفسها بالعصفورة بجانب نعامة، كإشارة إلى

قصر قامت زهور، ونجد وصفا آخر للساردة وبالضبط لجسمها، حيث قالت « وأنا أضع جسمي النحيف».

ولم نجد في كل مقاطع العمل السردي أوصافا أخرى للساردة، رغم أنها تتحدّث عن نفسها، ومرد ذلك يرجع لعدم رغبتها في التركيز على جسمها وأوصافها الخارجية، واكتفائها بالحديث عن ثقافتها ورجاحة عقلها ونضالها، وربما أرادت من خلال ذلك «اتّخاذ طرائق جديدة تقيم قطيعة مع الطرائق الرائجة في تقديم الشخصيات، وذلك من خلال اعتماد فرضية تقول بأن الشخصية المتروكة بدون وصف أو دون تمييز يمكن أن تكون أكثر حضورا في الرواية من الشخصية الموصوفة بوضوح تام »[14].

ركّزت الساردة على الأوصاف الداخلية المعنوية من شخصيتها، وتعمدت تجنّب الأوصاف المادية الخارجية، كإشارة منها إلى أهمية الجانب المعنوي من الشخصية خصوصا النسائية منها، لأن الدارجة اهتمام الكتاب بالشكل الخارجي للمرأة، بما فيه من جمال وفتنة فهي هنا تدعو إلى ضرورة الاهتمام بجوهر المرأة لا بشكلها، فالمرأة قادرة على إثبات وجودها بفكرها ونضالها وثقافتها بعيدا عن شكلها وجمالها الخارجي.

اعتمدت الساردة على التراكم في بناء شخصيات عملها، فلم تقدّم الشخصيات دفعة واحدة، وإنّما قامت بنشر صور متناثرة لها عبر مختلف مقاطع الملفوظ السردي، وعند لملمه شتات العمل تتضح الصورة النهائية للشخصيات وتتجلى، إذْ يصعب الحكم على صور الشخصية قبل تمام العمل «من هنا ينبني مدلول الشخصية في الحقيقة بفعل التراكم والتكرار والتحوّل وبفعل التعارض مع أشخاص آخرين»[15].

يمثّل الجدول الموالي تكرار المواصفات والأفعال الخاصة بشخصيات عمل زهور ونيسي "عبر الزهور والأشواك":

الجدول 3: المواصفات في "عبر الزهور والأشواك"

الشخصية	مواصفة واحدة	مواصفة متكررة	احتمال وحيد	احتمال متكرر	فعل وحيد	فعل متكرر
زهور ونيسي		+		+		+
علي ونيسي(أبوه)		+		+		+
إبراهيم مزهودي		+		+		+
صفية بن مهيدي	+			+		+
أحمد حماني		+	+		+	
هواري بومدين		+		+	+	

من خلال الجدول3، يتضح سيطرة ذات الساردة "زهورونيسي" على العمل وهيمنتها على بنيته ومقاطعه، حيث نجد أنّها وصفت بمواصفات متكررة وقامت بأفعال متكررة واحتمالات متكررة، وهذا ما يجعلها شخصية وذاتا فاعلة في هذا النّص السردي، تلاها شخصية علي ونيسي (والدها) الذي تعددت أوصافه وأفعاله، وكذلك المفتش إبراهيم مزهودي، في حين تباينت باقي الشخصيات من حيث المواصفات والاحتمالات والأفعال، فنجد من كانت له مواصفة واحدة مثل صفية بن مهيدي، ومن كان له احتمال وحيد كأحمد حماني، وفعل وحيد كأحمد حماني وهواري بومدين، ويدلّ ذلك على أهمية هذه الذوات ولكن بنسبة أقل بالمقارنة مع الذوات التي تتكرر فيها المواصفات والاحتمالات والأفعال.

قدّم فيليب هامون ترسيمة خاصة بصفات الشخصيات وعلاقتها بالشخصيات الأخرى، وقال كما سبق الإشارة إليه أن الشخصية مورفيم فارغ لا يمتلئ إلا بتمام النّص، فالمسار السردي الإجمالي بما يحمله من تحوّلات ومواصفات للشخصية، هو الذي يعطينا الصورة النهائية لها، إذْ لا يتشكّل مدلول الشخصية من خلال التراكم والتكرار فقط، بل يتعداهما إلى التقابل من خلال نسج علاقات بين الشخصية والشخصيات الأخرى «إنّ هذه العلاقة يجب أن نؤكد ذلك تتغير من مقطع إلى آخر إنها تتحرك على مستوى الدال ، كما تتحرك على مستوى المدلول وذلك وفق روابط تشابه واختلاف »[16].

يمثل الجدول الموالي وظائف الشخصيات الخاصة بعمل زهور ونيسي "عبر الزهور والأشواك"، ويتضمن أربعة محاور كما بيّنها فيليب هامون.

الجدول 4: الوظائف في "عبر الزهور والأشواك"

	الشخصية الذات	الجنس	الأصل الجغرافي	الإيديولوجيا	الثروة
الساردة (الزهورونيسي)	ذكر	أنثى		غني	فقير
		+	جزائري	باديسية	+
علي ونيسي (أبوه)	+		جزائري	باديسي	+
إبراهيم مزهودي	+		جزائري	باديسي	+
أحمد حماني	+		جزائري	باديسي	+
صفية بن مهيدي		+	جزائري	وطني	+
هواري بومدين	+		جزائري	وطني	+
عواطف عبد الرحمن		+	مصرية	تحرري	+

المصدر: فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، تقديم: عبد الفتاح كيليطو، دار كرم الله للنشر والتوزيع، (د.ط)، القبة، الجزائر، (د.ت)، ص45.

من خلال الجدول4، زاوجت الساردة في عملها بين المذكر والمؤنث في محور الجنس، حيث نجد شخصيات نسائية مثل: الساردة زهورونيسي صفية بن مهيدي عواطف عبد الرحمن، وأخرى رجالية مثل: علي ونيسي إبراهيم مزهودي أحمد حماني هواري بومدين، إلا أننا نلحظ هيمنة الأنثى على العمل، لكونه يتحدث عن حياة امرأة (أنثى)، بينما نجد في محور الأصل الجغرافي حضور الأصل الجزائري بقوة،فمعظم شخصيات العمل جزائرية وتقدر نسبتها بحوالي 90%، فيما تتقاسم أصول عدة 10% المتبقية منها المصرية، الأردنية، الفيتنامية، الكوبية، الألمانية، أما الإيديولوجية فقد اشتركت مجموعة من الشخصيات في إيديولوجية واحدة، لكونهم ينتمون لنفس المدرسة (الباديسية) وهم: زهور ونيسي علي ونيسي أبراهيم مزهودي أحمد حماني، في حين نجد اتّجاه آخر لشخصيتين وهما صفية بن مهيدي وهواري بومدين، اللذان ينتميان للاتّجاه

الوطني، وتفرّدت شخصية عواطف عبد الرحمن بإيديولوجية خاصة التحررية، وذلك يرجع لمساندتها للحركات التحررية عامة والجزائرية خاصة.

تندرج معظم شخصيات العمل في خانة الطبقة الفقيرة، لكونهم ينحدرون من حارات شعبية بسيطة، بالإضافة لمعاناتهم مثل أبناء وطنهم من تسلّط المستعمر على أموالهم وأراضيهم، مما جعلهم يعيشون في فقر مدقع، وهذا ما يمكننا استقراءه من محور الثروة.

5. تصنيفات الشخصية

1.5 الشخصيات المرجعية:

يستوجب الوقوف على مفهوم الشخصية المرجعية التعريج على معناها المرتبط أساسا بسياق خارج النص، فهي ليست وليدة نص سردي معين، بل تتعداه إلى كلّ ما هو خارج عنه، وعادة ما تحيل إلى عوالم محددة في إطار نصوص الثقافة والتاريخ، فهي خاضعة للذاكرة الجماعية، ومن ثمة فهي كل الشخصيات الخارج نصية المبثوثة داخل النّص بشكل رجعي، ترجع القارىء إلى نصوص أخرى من ثقافته وتاريخه، لأنها تشكّل رمزا يسهل على القارئ فهم كينونته.

تحيل الشخصية المرجعية إلى خلفيات ثقافية ثابتة، وبمدى استعداد القارئ لها وبإدراجها داخل ملفوظ معين، تصبح أساسا مرجعيا يحيلنا على النص الكبير بالإيديولوجيات أو الثقافة، وفي الغالب ما تشارك هذه الشخصيات التحديد المباشر للبطل[17].

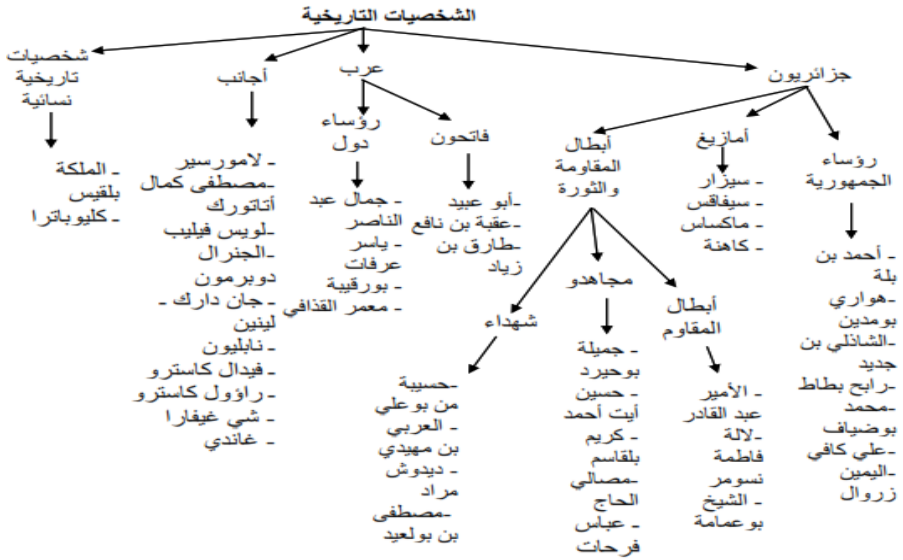
تنتمي الشخصية المرجعية إلى ثقافة شعب من الشعوب، وقد تتعداه إلى ثقافة عالمية تشترك فيها شعوب العالم جميعا، مثل شخصيات العلماء والفلاسفة والمخترعين.

قسّم هامون الشخصية المرجعية إلى أربعة أقسام: الشخصيات التاريخية، الشخصيات الأسطورية، الشخصيات المجازية، الشخصيات الاجتماعية.

ويمكن أن نضيف لها الشخصيات الأدبية والدينية، التي عادة ما نجدها تتخلل الأعمال السردية، فتضفي عليها نوعا من الحميمية والروحانية، لأن استئناس الكاتب بها يجعل من عمله يحمل أبعادا شتى، ويعالج قضايا مختلفة، ويمسّ شرائح متعددة من القراء.

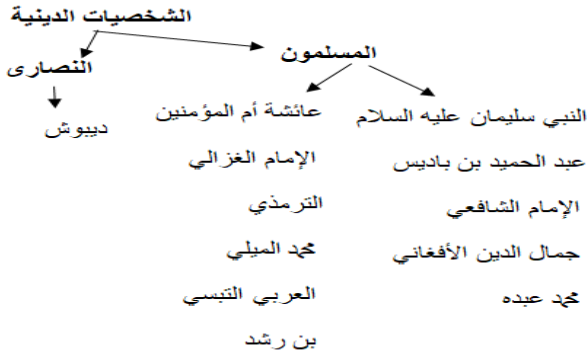
يجد الباحث في السيرة الذاتية .لزهورونيسي "عبر الزهورو الأشواك" بأنها تعجّ بالشخصيات المرجعية، خصوصا التاريخية والأدبية، مردّ ذلك لكون الساردة تمثّل في حد ذاتها شخصية تاريخية وأدبية لها مكانتها المرموقة داخل الوطن وخارجه، كما أنّها عايشت عدّة شخصيات تاريخية لها دور هام في تاريخ الجزائر المعاصر، وفيما يلي رصد للشخصيات المرجعية داخل النّص السردي "عبر الزهور و الأشواك" والتي نلاحظ كثرتها وتنوعها، ونظرا لهذه الكثرة صعب علينا الحديث المفصل عن كل شخصية فلجأنا إلى تصنيفها وفق المخططات التالية لتحديدها بأكثر دقة وذكر انتماءها.

مخطط1: الشخصيات

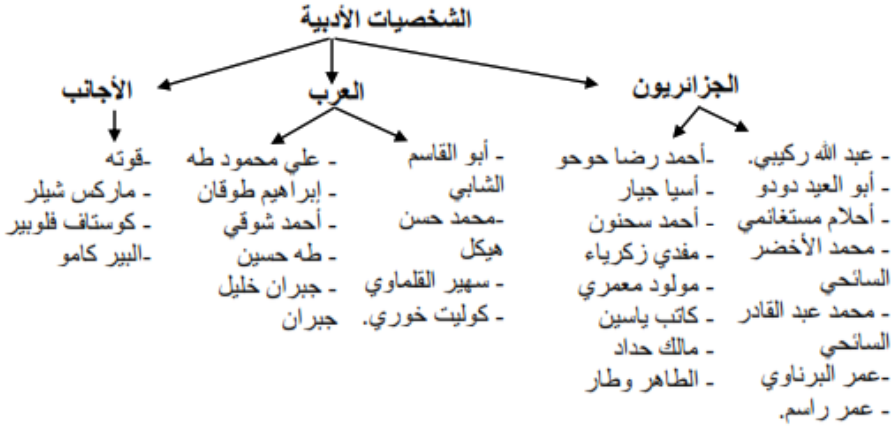


ت التاريخية في "عبر الزهور والأشواك "

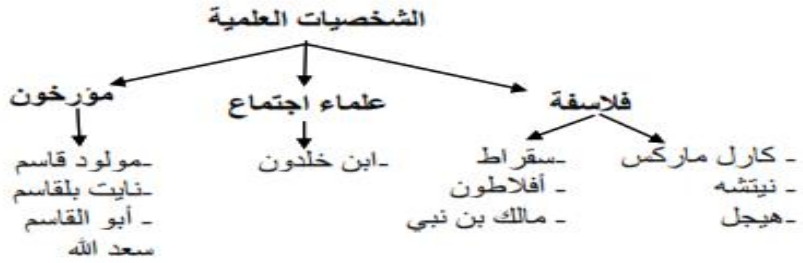
مخطط2: الشخصيات الدينية في "عبر الزهور و الأشواك "



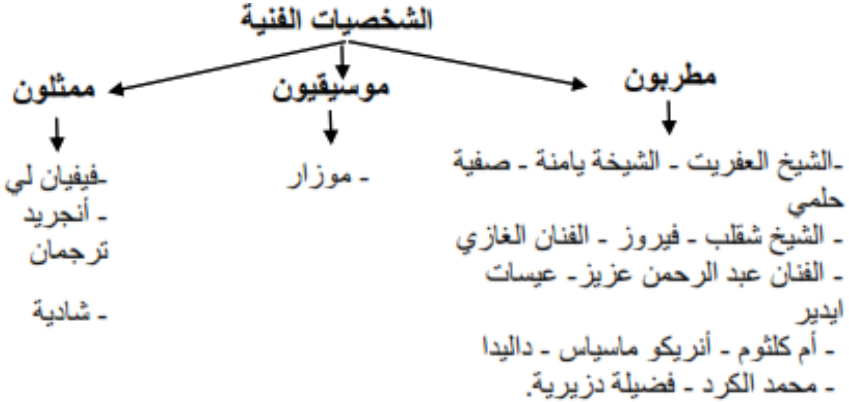
مخطط3: الشخصيات الأدبية في "عبر الزهور والأشواك "



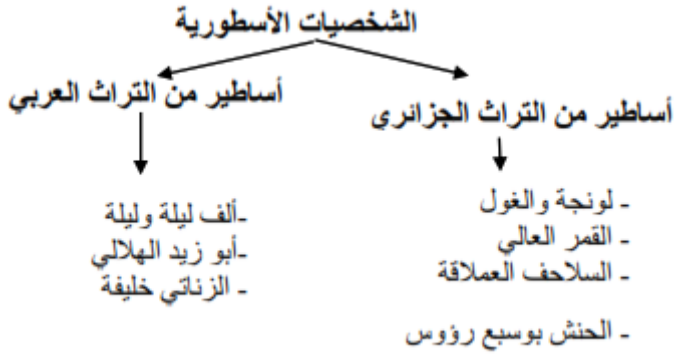
مخطط4: الشخصيات العلمية في "عبر الزهور والأشواك "



مخطط5: الشخصيات الفنية في "عبر الزهور والأشواك "



مخطط6: الشخصيات الاسطورية في "عبر الزهور والاشواك "



2.5 الشخصيات الإشارية:

تُعتبَر الشخصيات الإشارية اللسان الناطق باسم المؤلف، ويعدّ استخراج هذا النوع من الشخصيات في العمل السير ذاتي أمرا سهلا، لأنّ العمل يتحدّث عن المؤلف نفسه، ومن ثمة فهو يُعدّ الشخصية الإشارية التي تمثّل وجوده داخل النّص، فتُعبّر عن آرائه ونظرته لمختلف القضايا والإشكاليات، "فالزهور ونيسي" عبّرت من خلال عملها "عبر الزهور والأشواك" عن آرائها دون تخفّي ولا مراوغة، ذلك أنّها صرّحت منذ البداية أن العمل عبارة عن سيرة ذاتية تحكي مراحل حياتها وتعبّر عن نظرتها للحياة.

الشخصيات الاستذكارية:

تدلّ الشخصيات الاستذكارية على التذكّر والتذكير، فكلّما صادف القارئ ما يذكّره بأمور ماضية في العمل السردي، كلّما دلّ ذلك على هذا النوع من الشخصيات، فهي تعدّ بمثابة منبه أو «علامة تنشّط ذاكرة القارئ»[18]، وتربط مقاطع الملفوظ السردي وتضمن تماسكه.

تقوم الشخصية الاستذكارية«داخل النّص بنسج شبكة من الإستدعاءات والتذكيرات للمقاطع من الملفوظ منفصلة وذات طول متفاوت، وظيفتها ترابطية تنظيمية بالأساس، أي أنها علامات مقوية لذاكرة القارئ، وتظهر هذه النماذج من الشخصيات في الحلم المنذر بوقوع حادث أو في مشاهد الاعترافات والبوح...»[19].

فطبيعة هذا النوع من الشخصيات قائم على الاستذكار والاسترجاع والاستباق، حيث تربط لنا فصول العمل السردي، وتتيح للقارئ الجمع بينها ونجدها مبثوثة فيه بدرجات متفاوتة، ويتكرّر ورودها بغية تحقيق الغاية المتمثلة في لملمة شتات العمل، والرّبط بين أجزائه وهي بالأساس «علامات تشحذ ذاكرة القارئ إنها شخصيات للتبشير شخصيات لها ذاكرة، تقوم بتأويل الأمارات مثل الحلم التحذيري مشهد، الاعتراف، التكهن، الذكرى، الاسترجاع، الاستشهاد بالأسلاف ... الخ»[20].

تقوم الشخصية الاستذكارية بوظيفة الربط بين أجزاء العمل السردي، وإذا عدنا لعمل الزهور ونيسي "عبر الزهور والأشواك" وأردنا استخراج هذا النوع من الشخصيات، فإننا نذهب مباشرة لشخصية المفتش المجاهد (إبراهيم مزهودي) هذه الشخصية التي لعبت دورا هاما في ضمان انسجام النص، فقد قامت الساردة بالاعتماد عليها في كل مرة لتذكير القارئ بملفوظات سردية سابقة، أو إحالته لأخرى لاحقة.

تعد شخصية إبراهيم مزهودي شخصية مميزة ذكرت عبر مختلف مقاطع الملفوظ السردي، وهي تغطي أكبر مساحة منه، حيث تحدّثت عنه الساردة للمرة الأولى عندما ذَكَرت أنّه كان السبب في توجهها للتعليم في بداية حياتها المهنية، ذلك الرجل ذو الملامح الصخرية .كما وصفته تكرّر وروده في النص مرّات عديدة وفي كل مرّة يكون سببا في تغيير مسار حياة الساردة، فهو الذي قرر أنها تصلح للتعليم، وهو الذي اختار لها مواصلة التعليم في الجامعة بعد الاستقلال، وهو الذي عرّفها بزوجها أحمد جابر، وبالتالي كان لهذه الشخصية حضورا كبيرا، ودورا فعالا في أحداث العمل السردي وللمة شتاته بذكره والتذكير به في مقاطع سردية مختلفة منه.

6. خاتمة:

نخْلص بناءً على ما تقدّم إلى أنّ السّيرة الذاتيّة جنس قديم حديث لم تكتمل عناصره بعد، وهو يعدّ مجالا واسعا للدّراسة.

- تتميز السيرة الذاتية بخصائص تجعلها تتفرد عن غيرها من الملفوظات السردية كـ: الكتابة النثرية، النمط السردي الاستعدادي، الشخوص الواقعية، الخصوصية.
- أثرى فيليب هامون الحقل السيميائي بدراسة الشخصية دراسة مخالفة لما كان عليه في المقاربات التقليدية، حيث استفاد من آراء غيره وطوّرها.
- ينظر فيليب هامون إلى الشخصية على أنها مورفيم فارغ لا يمتلئ إلا بتمام النص، وأعطاها صفة العلامة اللسانية، فالشخصية دليل له وجهان: دال ومدلول.
- بيّن هامون مدلول الشخصية انطلاقا من وظائفها وعلاقتها بغيرها، واعتمد في تصنيفها على معيارين: معيار الكم ويمثّل درجة تواتر المعلومات حول الشخصية، وقد خلصنا من خلال تتبعنا لتواتر الشخصيات في "عبر الزهور والأشواك" إلى أن شخصية زهور

هي الأكثر تواترا، حيث ذكرت أكثر من عشر مرات، وتأتي في المرتبة الثانية والثالثة على التوالي شخصيات كل من: علي ونيسي و أحمد جابر.

- يعدّ معيار الكيفي المعيار الثاني الذي اعتمد عليه هامون في تصنيف الشخصيات من خلال فعل الشخصية ذاتها وكيفية تقديمها، وبتتبعنا لتقنية الوصف التي تعتبر أهم تقنية يلجأ إليها السارد في تقديم شخصيات عمله، وجدنا أن أغلب الأوصاف جاءت على لسان الساردة، حيث سيطرت على وصف شخصيات عملها في محاولة منها لرسم الملامح الفيزيولوجية الخارجية لها.
- ترتبط الشخصيات المرجعية بسياق خارج النص فهي كل الشخصيات الخارج نصية المبثوثة داخل النص بشكل رجعي ترجع القارئ إلى نصوص أخرى من ثقافته وتاريخه.
- شكلت الشخصيات المرجعية التاريخية والأدبية حضورا متميّزا، ومرد ذلك يرجع لكون الساردة تعدّ شخصية تاريخية وأدبية، كما أنها عايشت العديد من الشخصيات التاريخية والأدبية.
- تعتبر الشخصيات الإشارية اللسان الناطق باسم المؤلف، ويعدّ استخراج هذا النوع من الشخصيات هينا في السير الذاتية لأنها تتحدّث عن المؤلف نفسه، ومن ثمة فهو يعدّ الشخصية الإشارية فيها.
- تعتبر شخصية إبراهيم مزهودي الشخصية الاستذكارية في "عبر الزهور والأشواك لأنها قامت بوظيفة الربط بين أجزاء العمل وضمان تماسكه.

7. الهوامش:

[1]- فيليب لوجون، السيرة الذاتية . الميثاق والتاريخ الأدبي -، تر وتقديم: عمر حلي، المركز الثقافي العربي ط1، الدار البيضاء 1994، ص 10.

[2]- محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، دار المعارف، ط1، القاهرة ، 1955، ص 23.

[3]- فيليب. لوجون، المرجع السابق، ص22.

[4]- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية .بحث في تقنيات السرد.، دار عالم المعرفة، (د.ط)، 1998، ص126.

[5]- المرجع نفسه، ص 111.

[6]- رولان بارث، النقد البنيوي للحكاية، تر: انطوان أوزيد، منشورات عويدات، ط1، بيروت، 1988، ص 131.

[7]- عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي .معالجة تفكيكية سميائية مركبة لرواية زقاق المدن، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، بن عكنون، الجزائر، 1995، ص126.

[8]- حميد الحميداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص 23.

[9]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1990، ص 213.

[10]- فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، تقديم: عبد الفتاح كيليطو، داركرم الله للنشروالتوزيع، (د.ط)، القبة، الجزائر، (د.ت)، ص08.

[11]- نظيرة الكنز، سيمياء الشخصية في قصص سعيد بوطاجين . الوسواس الخناس أنموذجا، الملتقى الوطني الثاني: السيمياء والنص الأدبي، منشورات الجامعة، قسم الأدب العربي، بسكرة 2002، ص 143.

[12]- وردة معلم، الشخصية في السميائية السردية، الكتاب الرابع، محاضرات الملتقى الوطني الرابع للسيمياء والنص الأدبي، 28جامعة محمد خيضر، بسكرة،الجزائر-29 نوفمبر2006.

[13]- نظيرة الكنز، المرجع السابق، ص 143.

[14]- حسن بحراوي، المرجع السابق، ص213.

[15]- دليلة مرسلي وأخريات، مدخل إلى التحليل البنيوي للنصوص، (د.ط)، (د.ت)، ص102.

[16]-فيليب هامون، المرجع السابق، ص42.

[17]- المرجع نفسه، ص14.

[18]- المرجع نفسه،ص 31.

[19]- حسن بحراوي، المرجع السابق، ص 217.

[20]- فيليب هامون، المرجع السابق، ص25.